دولة ليبيا
وزارة التعليم
مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

تاريخ الوطن العربي في العصر القديم

للسَّنة الأولى

بمرحلة التَّعليم الثَّانويِّ

الدرس الثامن

المدرسة الليبية بفرنسا ـ تور

العام الدراسي
1441 / 1442 هـ
2020 / 2021 م

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

حاولت الشراذم اليهودية استعادة مملكتهم المنهارة عام **785** ق.م ولما عجزوا عن ذلك استعانوا بالآشوريين لأجل القضاء على إمارة دمشق الآرامية ونفوذها، وسرعان ما استجاب الآشوريون لهم حيث أن هذا النداء صادف هوى في نفوسهم إذ كانوا يتطلعون إلى الاستيلاء على هذه المنطقة فخرجت قواتهم واجتاحت إقليم الجزيرة وتدفقت عبر نهر الفرات على شمال الشام، وسرعان ما سقطت دمشق في أيديهم ثم استولوا على بقية المدن الآرامية وأنزلوا بها الخراب والدمار وهكذا انتهت الإمارات الآرامية .

ثانيًا - مظاهر الحضارة العربية القديمة في بلاد الشام :

1 - الحياة الاجتماعية :

قامت الحياة الاجتماعية لأغلب العناصر السامية التي هاجرت من موطنها الأصلي بشبه الجزيرة العربية على النظام القبلي الذي كان أساس المجتمعات السامية القديمة، فقد كان لكل قبيلة شيخها الذي يتولى شؤونها السياسية والعسكرية والاقتصادية والدينية والعلاقات الخارجية، وتتم عملية اختيار شيخ القبيلة وفق شروط الزعامة القبلية المتمثلة في الشجاعة والإقدام وحسن التصرف والحكمة في إدارة شؤون القبيلة والدفاع عنها وحفظ مصالحها وغيرها من الخصال، ويعاون الشيخ مجموعة من رؤساء العشائر وأهل الرأي في شكل مجلس شورى .

وكانت الأسرة هي الوحدة الرئيسية في المجتمعات القبلية الشامية، وكان الزواج فيها يخضع للعديد من القوانين والأعراف الاجتماعية المعقدة، وكانت الزوجة تشارك في إدارة شؤون أسرتها من تدبير لشؤون بيتها إلى مشاركة زوجها عمله في الرعي والزراعة، وشاركت بعض النساء في التجارة ولهن الخادمات الخاصات بهن .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

2 - الحياة الاقتصادية :

أ - الزراعة :

الزراعة أساس الاستقرار وعليها تقوم الحضارة وقد عملت الجماعات البشرية التي سكنت الشام قديمًا في المجال الزراعي وذلك بفضل توافر المقومات الأساسية لقيام الزراعة، وخاصة مصادر المياه المختلفة .

وقد ظهرت حرفة ممارسة الزراعة لدى الكنعانيين بدرجة أولى ثم الآراميين، أما العموريون، الذين سبقوا الكنعانيين فقد كانوا على البداوة ولم يكن ميلهم للزراعة قد ظهر بعد بالإضافة إلى عدم استقرارهم في بلاد الشام حيث كانوا في حركة تنقّل بين البقاء بالشام أو الهجرة مرة أخرى إلى العراق، في حين أن الفينيقيين الذين استقروا على ساحل الشام لم تمكنهم الطبيعة الجبلية لذلك الساحل من ممارسة زراعة واسعة فاتجهوا نحو البحر للصيد والتجارة والتوسع في مناطق بعيدة عن موطنهم الأصلي .

وقد انعكس هذا التطور على الحياة الاقتصادية عمومًا بالإضافة إلى أن الزراعة أصبحت مصدرًا هامًا للتجارة مع شعوب الرافدين وآسيا الصغرى ومصر ومع شعوب البحر المتوسط بعد ذلك .

ب - الرعي وتربية الحيوان :

كانت حرفة الرعي هي الحرفة السائدة في صحراء بلاد العرب، وعندما هاجر الآراميون منها استمروا في مزاولة هذه الحرفة في ظل وجود مساحات شاسعة من المراعي الكثيفة الغنية والمياه وهكذا تطورت حرفة تربية الحيوانات بمناطق الشام، واتسعت فكرة استخدامها وخاصة في المناطق الجبلية التي زرعوها في شكل مدرجات .

كما كان الحيوان مصدرًا للغذاء ومصدرًا للعديد من المواد الأولية التي كانت سببًا في رواج التجارة البرية شرقًا عن طريق الآراميين والتجارة البحرية غربًا عن طريق الفينيقيين.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ج - الصناعة :

قامت الصناعة على الخامات الحيوانية والنباتية وعلى مصادر المواد الأولية التي جاءت بها التجارة مع الأمم المجاورة .

ولعل أبرز الصناعات التي قامت ببلاد الشام هي :

1 - **صناعة الصبغة الأرجوانية** : وقد امتاز بها الفينيقيون ولعبت دورًا مهمًا في العالم القديم، ومصدرها حيوان بحري رخوي تستخرج منه مادة حمراء، وعرفوا كيف يستخرجونها بطرق علمية دقيقة ويستغلونها استغلالًا اقتصاديًا ناجحًا، ويحتكرون بالتالي تجارتها .

وقد استغلت هذه المادة الحمراء في صباغة المنسوجات ذات الجودة العالية، وهكذا أصبح اللون الأحمر يمثل لون الأرستقراطية والطبقة الراقية في فينيقيا، وبلاد اليونان والإمبراطورية الرومانية .

2 - **صناعة الزجاج** : واشتهرت بها مدينة صور وصيدا على وجه الخصوص وقيل : أن الفينيقيين عرفوها عن طريق المصريين القدماء، ولكنهم طوروا هذه الصناعة وطوعوها بحيث تشكلت منها أنواع مختلفة على هيئة أكواب وقوارير كما تمكنوا من تلوين الزجاج بألوان مختلفة، وأصبح الزجاج يستخدم للزينة في المنازل والمعابد، وكان أحد المواد الرئيسية في التجارة الرائجة في العالم القديم .

3 - **صناعة النسيج** : كانت صناعة الغزل والنسيج من أهم الصناعات المنزلية التي لعبت دورًا كبيرًا في الحياة الاقتصادية في مدن فينيقيا حيث عرفوا استخدام الأنوال منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وقد ساعد على تطورها وجود المواد الخام من الصوف والكتان والقطن وساعد على رواجها استعمالهم للصبغة الأرجوانية .

4 - **صناعة الفخار** : وقد عرف أهل الشام هذه الصناعة عن طريق البابليين بالعراق والعموريين والمصريين، ولكن أهل الشام طوروا هذه الصناعة باستخدام ما

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

يعرف بالدولاب الفخاري الذي يعتبر استخدامه فتحًا جديدًا في تاريخ صناعة الفخار.

5 - **صناعة المعادن** : لقيت صناعة المعادن اهتمامًا شديدًا لدى شعوب الشام حيث طوعوها وصنعوا منها الأسلحة والأدوات والأواني المختلفة، كما قاموا بالنقش عليها، وصنعوا منها العملات المعدنية المختلفة.

وكانت الأدوات المعدنية بما فيها المعادن الثمينة تشكل أحد مواد التبادل التجاري في التجارة الفينيقية وقد عثر عليها في مناطق عدة وصل إليها الفينيقيون مثل إسبانيا وشمال أفريقيا.

د - التجارة :

أصبح من الثابت تاريخيًا أن أهل الشام قد سيطروا سيطرة كاملة على تجارة العالم القديم بصفة عامة، وتجارة الشرق الأدنى القديم بصفة خاصة خلال العصور القديمة.

ففي مجال التجارة البرية لعب الآراميون دورًا هامًا وأساسيًا في هذا المجال حيث كان موقع مدينة دمشق الآرامية الذي جعلها مركزًا تجاريًا مهما بين سوقين عظيمين من أهم أسواق التبادل التجاري في العصور القديمة، هما سوق موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط الذي يمثله الفينيقيون ، وأسواق بلاد الرافدين ومنها إلى السوق الشرقي القديم داخل بلاد فارس وما بعدها.

وقد أصبحت مدينة دمشق مركزًا للقوافل الصادرة والواردة بين هاتين المنطقتين التجاريتين التي يسيطر عليها الطريق الصحراوي المتحكم في التجارة الداخلية، وعن طريقها أصبح الآراميون أغنى وأمهر التجار، وخاصة في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، ونجحوا إلى حد كبير في تعويض نفوذهم السياسي، الذي لم يتحقق نتيجة غياب وحدة الإمارات الآرامية بنفوذ في المجال الاقتصادي.

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

وكانت التجارة وسيلة من أهم وسائل نقل النظم والمفاهيم الحضارية بين الأمم والشعوب المختلفة لأهل الشام عن طريق الآراميين برًا إلى شعوب العالم القديم مثل نقل الكتابة والأبجديات المختلفة .

أما في مجال التجارة البحرية فقد كان الفينيقيون سادة في هذا المجال، حيث اتجهوا منذ البداية إلى ركوب البحر نظرًا لضيق أراضيهم الزراعية فبنوا السفن الطويلة من خشب أشجار الأرز الذي ينمو فوق جبال لبنان .

وبفضل هذه السفن سيطر الفينيقيون على تجارة حوض البحر المتوسط وخاصة بعد أن نجحوا في إقامة المحطات التجارية على طول الساحل الإسباني، وشمال أفريقيا، ومعظم جزر حوض البحر المتوسط وكانت هذه المحطات تستخدم كمراكز وملاجئ تحتمي بها السفن من الأخطار ومخازن للتموين وحفظ البضائع وإعادة تصريفها .

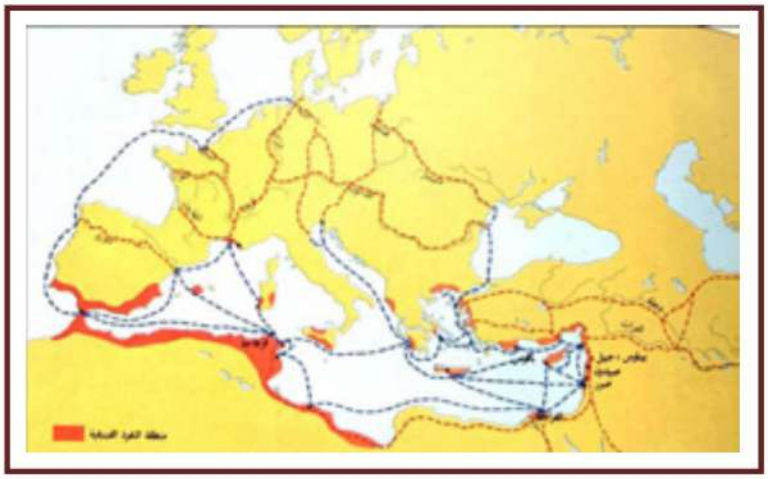

شكل رقم)14(

خريطة تُمثل الطرق البرية والبحرية والمحطات التجارية للكنعانيين(الفينيقيين)على طول السواحل الجنوبية لإسبانيا وسواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط ومعظم جزر البحر المتوسط . عن : موسوعة المعرفة المجلد الثاني ، روما ، 1985م

وبالتواصل مع الآراميين في البر أصبحت تجارة العالم القديم تأتي من أقصى بلاد العالم القديم وشعوبه في الصين والهند وفارس وآسيا الصغرى وبلاد الرافدين، وتنقلها القوافل الآرامية لتسليمها إلى الأسطول الفينيقي ليحملها إلى الأمم، والشعوب المطلة

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

على شواطئ البحر المتوسط شماله وجنوبه، وقد اكتسب الفينيقيون سمعة عالية ونفوذًا متزايدًا في البحر المتوسط .

3 - الحياة الدينية :

اتفقت شعوب الشام مع غيرها من الشعوب القديمة على عبادة مظاهر الطبيعية المختلفة وإن كانت المسميات تختلف من جماعة إلى أخرى، فقد كانوا يقدسون ويعبدون كل ما فيه الخير ويكرهون كل ما يسبب لهم الشر .

ففي حين عبد العموريون المظاهر الطبيعية التي كان أشهرها إله المطر، والرعد والبرق المسمى (حدد) وإله الخصب والطعام المسمى (داجان)، نجد أن الكنعانيين عبدوا الشمس والقمر واعتقدوا أنهما إلهان يراقبان أعمال الناس، وكان إله الشمس عندهم يُسمّى (بعل) وإله القمر يُسمّى (عشتاروت) كما انتشرت بينهم عبادة الحية والثعبان كما كانوا يقدسون ينابيع المياه والأشجار ولم يؤمنوا بالبعث والحساب .

كان لكل مدينة فينيقية إله خاص بها وكان أشهر الآلهة (إل) سيد الآلهة، والإله (حدد) إله العواصف والامطار، والإله (ملكارت) إله القوة والبطولة .

وقد بنى الفينيقيون لآلهتهم الكثير من المعابد، وقدموا لها القرابين وخصصوا لكل معبد عددًا من الكهنة للقيام بالشعائر الدينية وكانوا يؤمنون بأن روح الإنسان تبقى مرافقة للجسم بعد موته وهذا ما دفعهم إلى دفن الموتى في مكان متسع فسيح، ويضعون مع الميت أدواته وحاجاته الشخصية .

4 - الكتابة والعلوم والآداب :

نجح الفينيقيون في اقتباس وتطوير أبجدية خاصة بهم تكونت من اثنين وعشرين حرفًا، وكانت في غاية البساطة يستطيع الإنسان العادي تعلمها دون جهد .

وقد دلت الدراسات أن الأبجدية الفينيقية التي كانت تُكْتَبُ في سطور متوازية وتتألف من اثنين وعشرين حرفًا وتكتب من اليمين إلى اليسار، هي في الحقيقة من

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

تطوير أهالي مدينة بيبلوس (مدينة جبيل بلبنان) الساحلية التي كانت على صلة تجارية واقتصادية كبيرة مع مصر القديمة .

والجدير بالذكر في هذا المجال أن الأبجدية الفينيقية قد أخذها اليونان الذين استفادوا فائدة حضارية عميقة من الفينيقيين وتتلمذوا على أيديهم زمنًا طويلاً من خلال الصلات التجارية والملاحية، كما تعلموا منهم العديد من أنواع الآداب والفنون والعقائد الدينية .

وقد احتفظ اليونان بالأسماء السامية لحروف الأبجدية الفينيقية وبأشكالها وترتيبها، ولكنهم أضافوا إليها بعض التعديلات، وخاصة فيما يخص حروف العلة والحركة وتغيير اتجاه بعض الحروف بما يلائم طريقة الكتابة اليونانية حيث كان اليونان يكتبون من اليسار إلى اليمين .

وعن طريق اليونان انتقلت الأبجدية الفينيقية إلى الرومان الذين خلفوا اليونان في السيادة الحضارية والسياسية حيث اشتق منها الرومان ما يعرف بالحروف اللاتينية والتي مازالت تستعمل في الأبجديات واللغات الأوروبية الحديثة مثل اللغة الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية وغيرها .

أما الآراميون من أهل الشام فقد أخذوا الأبجدية عن طريق الفينيقيين ثم قاموا بنشرها في البلدان التي تاجروا معها في الشرق وبالتحديد في بلاد الرافدين وفارس وأواسط آسيا وآسيا الصغرى، وقد نتج عن التوسع التجاري الآرامي أن زادت أهمية الأبجدية الآرامية حتى أصبحت الكتابة الرسمية في الدولة الآشورية في بلاد الرافدين، كما كتب الفرس وثائقهم بها أيضًا كما كتب اليهود أسفار التوراة كذلك بالخط الآرامي، وأخذ اليمنيون الخط المسند عن الآراميين، ثم أخذها الأنباط والتي منها تم اشتقاق الخط العربي .

أما في المجال الأدبي، فقد بلغت النهضة الأدبية للفينيقيين ببلاد الشام أوجها في القرن السادس قبل الميلاد وخاصة في مجال الشعر حيث ألف عدد من الشعراء من

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

أهل مدينة بيروت مجموعة من الأشعار الخرافية كانت بمثابة الأساس لـلأدب اليونـاني بعد ترجمتها، كما استفاد اليهود من الأدب الفينيقي – الكنعاني، وظهر ذلك في أغانيهم الدينية وشعرهم الغنائي .

وفي مجال العلوم برع أهل الشـام في العديـد منهـا ولعـل خـير مثـال على ذلـك أن الفيلسوف اليوناني طاليس قد تعلم في إحدى المدن الفينيقية، كما عرف أهل الشـام علوما تطبيقية كثيرة استخدموها في تطوير الصناعات المختلفة مثل صـناعة الصـبغة الأرجوانية بإضافة بعض المركبات الكيميائية، وكذلك في تطـوير صـناعة المنسـوجات والزجاج والفخّار والمعادن والخزف .

5 - العمارة والفنون :

شهدت بلاد الشام نهضة عمرانية وفنية كبيرة في فترة العصور القديمة وقـد دلـت الحفائر التي كشفت عن العديد من الأبراج والحصون والعمائر الدينيـة والمدنيـة على دقة الفنان والمهندس وعمق عمله .

كانت القلاع والحصون والأسوار أهم فنون العمارة الفينيقية ويتجلّى ذلك في أسوار مدن صيدا وصور وغيرها، كمـا يرجـع الفضـل إلى الفينيقيـين في بنـاء هـيكل الملـك سليمان بالقدس وبناء المعابد في كل المدن الشامية، والفينيقيون هم الذين بنوا قصـر الملك داود وقصر الملك سليمان وأبدعوا في بنائهما وفي زخرفتها وقد امتـاز الفنـان في بلاد الشام بقدرته على تطويع الصخور ونحتها وصياغتها في قوالب فنية رائعة .

6 - البحرية :

عندما استقر الفينيقيون ببلاد الشام كان قدرهم قد دفعهم للاسـتقرار في السـاحل اللبناني الضيق في مسـاحته الـوعر في سـطحه والذي لـم يـترك لهـم المسـاحة الكافيـة للزراعة.

لذلك اندفع الفينيقيون نحو البحر لضمان معيشتهم، وسرعان ما اسـتطاعوا ركوبـه بكل يسر وسهولة بعد أن أنشأوا الموانئ والمرافئ اللازمـة لإيـواء المراكـب والسـفن

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا

ومنها انطلقوا بمحاذاة الساحل اللبناني شمالًا وجنوبًا غير مبتعدين عنه يمارسون حرفة الصيد أولًا لضمان الغذاء وينقلون منتجاتهم إلى المناطق القريبة منهم، وسرعان ما ألفوا هذه المهنة التي ساقتهم ممارستها إلى الإبحار مبتعدين مسافات أطول عن سواحلهم .

وقد مكنتهم خبراتهم الملاحية المتراكمة والمعلومات البحرية التي تعلموها أن يعرفوا الطرق التي يسلكوها في ذهابهم وإيابهم متجنبين العواصف والتيارات المائية والأمواج العالية وذلك من خلال معرفتهم بالمناخ وتقلباته .

كما أنهم أول من عرف النجم القطبي واستخدموه في الإبحار ليلًا قد أطلق اليونان على النجم القطبي (النجم الفينيقي) .

ولشدة تقدم الفينيقيين في علوم البحر وفنونه استخدمتهم أمم كثيرة في الرحلات البحرية لأغراض تجارية وحربية ورحلات علمية، فحين أراد بعض ملوك مصر القديمة الدخول في مغامرة بحرية للدوران حول أفريقيا؛ استخدموا البحارة الفينيقيين لخبرتهم وإلمامهم بالمعلومات ونجحوا في الدوران حول أفريقيا والدخول إلى البحر المتوسط من مضيق بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) الذي كان يسمى (أعمدة هرقل) والعودة إلى مصر عبر المتوسط، كما أنهم وصلوا إلى الجزر البريطانية شمال المحيط الأطلسي، كما مكنهم إتقانهم فن الملاحة وعلوم البحار من السيطرة على التجارة البحرية العالمية آنذاك وبفضلها استطاعوا أن ينشئوا إمبراطورية بحرية مترامية الأطراف .

جميع الحقوق محفوظة لـ مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية ـ ليبيا